الاستدعاء الثقافيّ في الشّعر العربيّ المعاصر – قصيدة "أنشودة المطر" لبدر شاكر السّيّاب نموذجاً

الدكتورة: روعة الفقس

الملخص

كان التّراث الإنسانيّ وما يزال مصدراً ثرّاً للشعراء ، لما يتمتّع من قيم خالدة ، ومكانة مقدسة لدى الشّعوب كافة ، وبهذا يضمن الشاعر التأثير في نفوس متلقيه ، وبات توظيف هذا التّراث في شعرنا المعاصر ظاهرة ملفتة للنظر ، وتستحق الوقوف عندها لتمييز غثها من سمينها ، إذ بدأ هذا التوظيف يدخل في بنية الشعر العربي المعاصر ، ولعلّ من أبرز هؤلاء الشعراء الذين نظنُّ أنهم أحسنوا استغلال هذا التّراث بدر شاكر السّيّاب ، ولاسيّما في قصيدته " أنشودة المطر " ففيها إشارات ثقافية متنوعة ومتعددة من القرآن الكريم ، والأساطير والحكاية الشعبية ، ومن الشعر العربي قديمه وحديثه ، ومن الشعر الغربي أيضاً . وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على ثقافة شاعرنا الغنية والمتنوعة وحسن توظيفه إياها كما سنرى في ثنايا البحث . واعتمدنا المنهج التّكاملي في تتبع أنواع الاستدعاءات المختلفة الموظفة في متن النّصّ الشّعريّ " أنشودة المطر " ، وتحليل تلك الاستدعاءات ، وتوصلنا إلى نتائج متعددة ؛ ولعلّ من أهمّها ؛ أهمية الثقافة لشاعرنا المعاصر فهي زاده الأول لكتابة نصّ متميّز من سواه من النصوص الشّعريّة ، وتبيّن لنا ذكاء السّيّاب وعمق توظيفه للاستدعاءت كلّها ، إذ كان توظيفه لثقافته بما يخدم نصّه وليس عرضاً لها ليس إلا ، وهذا أغنى نصّه ، وجعله منفتحاً على قراءات عديدة . وأخيراً كشفت هذه الدراسة عن تجربة السّيّاب الغنية في قصيدته " أنشودة المطر " ومدى تفاعله مع التراث الإنساني الخالد والحي في ضمائر متلقيه

الكلمات المفاتيح : الاستدعاء ، الثقافي ، أنشودة المطر ، بدر شاكر السياب .

أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربية – كليّة الآداب والعلوم الإنسانيّة – جامعة البعث

Summery

The human heritage was and is still a rich source for poets, because it enjoys timeless values and a sacred position among all peoples, and in this way the poet guarantees influence on the souls of his recipients, and the use of this heritage in our contemporary poetry has become a remarkable phenomenon, and it deserves to stand with it to distinguish its sickness from its fat Badr Shakir Al-Sayyab, especially in his poem "The Rain Song", is included in the structure of contemporary Arabic poetry, and perhaps one of the most prominent of these poets who we think have made good use of this heritage is Badr Shakir Al-Sayyab. And from Western poetry as well. If this indicates anything, it indicates the rich and his good use of it, as we will see in the folds .varied culture of our poet a of the research We adopted the complementary approach in tracking the different types of summons employed in the body of the poetic text “The Rain Canticle”, analyzing those summons, and came to multiple conclusions. Perhaps one of the most important of them is; The importance of culture to our contemporary poet is his first addition to writing a distinct text from other poetic texts, and it shows us the intelligence of Al-Sayyab and the depth of his employment of all the summons, as his use of his culture was to serve his text and not merely as an offer for it, and this is the richest of his text, and it made him open to many readings. Finally, this study revealed the rich experience of Al-Sayyab in his poem "The Rain Song" and the extent of his interaction with the eternal and living human heritage in the consciences of its recipients.

Key words:

Summoning, cultural, chant of rain, Badr Shaker Al-Sayyab.

مقدّمة :

كان التّراث الإنسانيّ وما يزال مصدراً ثرّاً للشعراء ، لما يتمتّع من قيم خالدة ، ومكانة مقدسة لدى الشّعوب كافة ، ولما له من تأثير في نفوس متلقيه ، وبات توظيف هذا التّراث في شعرنا المعاصر ظاهرة ملفتة للنظر ، وتستحق الوقوف عندها لتمييز غثها من سمينها ، إذ بدأ هذا التوظيف يدخل في بنية الشعر العربي المعاصر بكثافة ملوحظة ، ونكاد نجزم أنّنا لانستثني أحداً من الشعراء العرب القدامى والمعاصرين ممن اتكأوا على هذا التراث الإنساني الضخم ، وبهذا بات الشاعر يجمع بين عبق الماضي وروح عصره ، وليس من الضروري أن يتقيّد الشاعر بدلالة الإشارة التراثية فإمكانه أن يحوّر فيها أويعكس دلالاتها كما يريد هو ، وحسب سياقه الشّعريّ ، ولعلّ من أبرز هؤلاء الشعراء الذين نظنُّ أنهم أحسنوا استغلال هذا التّراث بدر شاكر السيّاب ، ولاسيّما في قصيدته " أنشودة المطر " ففيها إشارات ثقافية متنوعة ومتعددة من القرآن الكريم ، والأساطير والحكاية الشعبية ، ومن الشّعر العربي قديمه وحديثه ، ومن الشّعر الغربي أيضاً . وهذا إنْ دلّ على شيء فإنّه يدلّ على ثقافة " السيّاب " الغنية والمتنوعة ،وحسن توظيفه إياها كما سنرى في ثنايا البحث .

أهمية البحث :

يَبيّن هذا البحث صعوبة أنْ يكون شاعراً معاصراً ، فلايظننَ أحدٌ أنّ الأخير سهل وبسيط ، عبارة عن رصف كلمات لامعنى لها على أسطر قد تطول وتقصر وعلامات ترقيم وحسب ، فالشّعر المعاصر يحتاج إلى شاعر مثقف ثقافة عالية وموسوعية ويستغل هذه الأخيرة استغلالاً مثمراً يخدم الدلالة الكليّة لنصّه الشّعريّ ، لا مجرد عرض هذه الثقافة أمام المتلقي كما يخيّل لبعض شعرائنا ، وهو كما يحتاج إلى ثقافة موسوعية يحتاج إلى شاعر ذكي يستطيع انتقاء ثيمات معينة من تلك الثقافة ، وتوظيفها توظيفاً فنياً يُظهر جمالية نصّه الشّعريّ، وغناه ، ويخدم الدلالة الكليّة لذلك النَّصّ معاً . وهذا وجدناه عند بدر شاكر السيّاب فهو شاعر مثقفٌ وذكي ، وظف ثيمات من ثقافته أغنت نصّ (أنشودة المطر) ، وكلّما قرأ المتلقي هذا النّصّ يكتشف فيه دلالات جديدة ، فهو نصٌّ مفتوح على دلالات متعددة بتعدد مَن تناول هذا النّصّ بالدرس والتّحليل .

الدّراسات السّابقة :

ثمة دراسات متعددة تناولت شعر السّيّاب منها ؛ وتناولت قصيدة (أنشودة المطر) ولعلّ منها ؛ ديوان بدر شاكر السّيّاب الذي حوى على مقدّمة كتبها ناجي علوش تحدّث فيها عن مراحل شعر السّيّاب المختلفة ؛ (...الرومانسية 1943– 1948م ، ..الواقعية 1949– 1955م ، .. التموزية أو الواقعية الجديدة 1956– 1960 ... الذاتيّة 1961– 1964) 1 .

وتناول عمر فروخ في كتابه " هذا الشعر الحديث " السّياب حياته وشعره على الرغم من تهجمه على قصيدة التفعيلة وشعرائها تحت فصل أسماه " الدرك الأسفل عندنا " قائلا عنه : (وبرغم السنوات القليلة التي عاشها بدر شاكر السّيّاب (1926– 1964م) وبرغم الأحوال القاسية التي عاش فيها ، فإنّه نظم شعراً كثيراً رائقاً . إنّه كان شاعراً مطبوعاً برغم ما كان يقصده من التعمّل في الشّعر الذي أراد أنْ يفارق فيه عمود الشعر العربي المألوف .) 2.

وتناول عبد الحميد جيدة بواكير شعر السّيذاب في كتابه " الاتجاهات الجديدة في الشعر المعاصر في حديثه عن الشعر الحر 3. وما ذكرناه غيض من فيض فكثيرة هي الدراسات التي تناوله حياة السّاب وشعره . وخصص عز الدّين إسماعيل فصلاً في كتابه " الشّعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية " بعنوان " المنهج الأسطوري في الشّعر العربي المعاصر" وهو فصل مهم لايمكن لأي باحث في الأسطورة أن يتجاوزه . وستكون هذه الدراسات عوناً لنا ، وسنضيف إليها

المنهج المتبع :

منهجنا هو المنهج التكاملي ؛ حدّد غريماس ثلاث سلطات في العملية الإبداعيّة وهي : سلطة المؤلف ، والنّصّ ، والمتلقي ، وهذا المنهج– في زعمنا – يجمع بين السلطات الثلاث لأنه يستفيد من المناهج القديمة التي ركزت على ما هو خارج النّصّ الأدبيّ أي المؤلف حياته وبيئته وغير ذلك ، ومن المناهج الحديثة التي ركزت على ما هو داخل النّصّ ، من إيقاع وتشكيل لغوي ، ومن المناهج ما بعد الحداثيّة التي تركز على المتلقي من مثل نظريتي التأويل والتّلقي .

1– السّيّاب ، بدر شاكر : 1986م . ديوان بدر شاكر السّيّاب ، دار العودة – بيروت ، ص ش .

2– فروخ ، عمر : 1978م. هذا الشّعر الحديث ، دار لبنان للطباعة والنّشر – بيروت ، ط: 1، ص 213.

3– جيدة ، عبد الحميد : 1980م .الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، مؤسسة نوفل – بيروت ، ط: 1،ص 295 وما بعدها .

بدر شاكر السّيّاب :

هو بدر بن شاكر كان جدّه مرزوق يُلقّب " السّيّاب " ، ولد في قرية جيكور جنوب البصرة في العراق عام (1926) ، توفيت والدته وهو صغير السّن ، فرعته جدّته ،وتلقّى تعليمه الابتدائي في بلدته ، ثمّ تلقّى تعليمه الثّانوي في البصرة ، وتخرّج من دار المعلمين العالية عام (1948م) في بغداد . اتّجه اتّجاهاً قومياً عربياً من دون أن تفارقه المفاهيم الاشتراكية التي سجن من أجلها ، فاضطر إلى الهرب إلى الكويت ثمّ عاد إلى العراق ، وكان مريضاً بمرض عضال أفقده القدرة على المشي ، وعندما اشتدّ عليه المرض ذهب إلى الكويت وهناك توفي سنة(1964م)1.

وقال عمر فرّوخ عنه : (وبرغم السّنوات القليلة التي عاشها بدر شاكر السّيّاب (1926-1964م) ، وبرغم الأحوال القاسية التي عاش فيها ، فإنّه نظم شعراً كثيراً رائقاً . إنّه كان شاعراً مطبوعاً ... كانت لغته صحيحة سليمة ، وتراكيبه واضحة متينة . فهو يمتلك ناصية اللغة العربية في التعبير . ثمّ هو حسن الذوق في الصّناعة (في استخدام أوجه البلاغة) 2

ولعلّ من أشهر آثاره " أزهار وأساطير " و" العبد الغريق " و" منزل الأفنان " و" أنشودة المطر ." وغيرها . ثمّ جُمعت كلّها في ديوان واحد نشرته دار العودة في بيروت سنة (1971م) ولعلّهأول مَنْ كتب شعر التفعيلة برأي بعض النّقاد الذين أنصفوا السّيّاب حين ادّعت نازك الملائكة أسبقيتها إلى اكتشاف شعر التّفعيلة ، وتّعدّ قصيدته (أنشودة المطر) من أروع قصائده فقد قال عنها " إنها من قصائد أيام الضياع والغربة على الخليج "3

الاستدعاء الأسطوريّ والملحميّ :

الأسطورة لغةً : (والسّطر الصّف من الكتاب والشّجر والنّخل ونحوها .. والجمع من ذلك أسطار وأساطير .. الأساطير الأباطيل ، والأساطير أحاديث لا نظام لها)4

1-للاستزادة يُنظر : فروخ ، عمر: هذا الشّعر الحديث : ص 212ومابعدها . والسّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص " ش " وما بعدها .

2- المرجع نفسه : ص 213- 214.

3- الفقس ، روعة : 2017-2018م . نصوص من الشعر العربي الحديث والمعاصر دراسات تحليلية : منشورات جامعة البعث – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ص 93.

4- ابن منظور : 1996م . لسان العرب ، تصح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التّراث – بيروت ، ط: 1، مادة سطر .

واصطلاحاً : تنوعت تعاريفها فمن ذلك أنّهم رأوا فيها (تعليلاً لظواهر طبيعيّة أو اجتماعيّة) 1أو هي (سرد قصصيّ مشوّه للأحداث التّاريخيّة ، تعمد إليه المخيلة الشّعبيّة ، فتبتدع الحكايات الدّينيّة والقوميّة والفلسفيّة لتثير انتباه الجمهور) 2 وهي عند أحمد كمال زكي (لا تخرج عن أن تكون قصة خيالية قوامها الخوارق والأعاجيب التي لم تقع في التاريخ) 3

ووظفت الأساطير في شعرنا القديم فنظرة سريعة إلى ديوان أمية بن أبي الصّلت توضح ذلك 4، واستخدمها الشّاعر المعاصر (ليست مجرد إطار بسيط تأتي أفكار الأديب الجاهزة لتملأه ، وإنّما إذا وجدت أسطورة ما صدى خاصّاً في نفسيّة الأديب ، أو ‘ذا وجدت بعض الومضات الغائمة في لا وعي الشّاعر في بعض معطيات الأسطورة صورتها الرّمزيّة التي تضيئها إلى اللاشعور ، عندئذٍ فقط يتمّ اعتماد الأسطورة ، وتتحقق الصّلة بين الأسطورة والتّجربة الشّعريّة) 5. وتنوعت الأساطير التي استخدمها شاعرنا المعاصر من إغريقية وشرقية وغربية . بل ذهب إلى أبعد من ذلك عندما بدأ يبتكر أسطورته الخاصة من مثل بدر شاكر السّيّاب في جيكورياته . 6

ولعلّ قضية الموت الفردي والجماعي كان هاجس السّيّاب الأوحد ؛ ربّما يعود ذلك إلى ماعاناه في صغره من فقد أمه ثم جدته ، ثم ما أصاب جسده من شلل بدأ يأكل أعضاءه رويداً رويداً فهو القائل في قصيدته (نسيم من القبر) :

(نسيم الليل كالآهات من جيكور يأتيني

فيبكني

بما نفثته أمي فيه من وجدٍ وأشواقِ

1– ويليك ،رينيه وأوستن وارين : 1981م . نظرية الأدب ، تر : محيي الدّين صبحي ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر – بيروت ، ط: 2، ص 198.

2– عبد النور ، جبور : 1979م . المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط: 1، ص 19.

3– زكي ، أحمد كمال : د. ت. الأساطير ، دار الكتاب العربي – القاهرة ، ص 35.

4– للاستزادة ينظر : زكي ، أحمد كمال : الأساطير الذي ذكر أسطورتي الهامة والصدى وأنسر لقمان بن عاد . و ابن أبي الصلت : أمية : 1974م . ديوان أمية بن أبي الصّلت ، تحـ : عبد الحفيظ السطلي ، مكتبة أطلس – دمشق ، ص 187– 244– 245 وغيرها كثير .

5– زايد ، علي عشري : د. ت. استدعاء الشّخصيات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر ، الشّركة العامّة للدراسات و النشر– الجمهوريّة العربيّة المصريّة . ص 222.

6– السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : قصيدة " جيكور والمدينة : ص 414 ومابعدها

تنفس قبرها المهجور عنها ، وقبرها الباقي

على الأيامِ يهمسُ بي : " تلاب في شراييني

و دودٌ حيث كتن دمي ، وأعراقي

هباءٌ من خيوط العنكبوت .....

- ليت لي صوتاً

كنفح الصور يسمع وقعَه الموتى . هو المرضُ

تفكك منه جسمي وانحنت ساقي

فما أمشي ، ولم أهجركِ ، إني أعشق الموتا) 1

ولكنّه (رفض الاستكانة إلى الموت الأبدي . بل نظر إلى الانبعاث كولادة جديدة للأرض التي هي بمنزلة الأم .) 2 لذا يبدأ قصيدته (أنشودة المطر) قائلاً :

(عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السّحَرْ ،

أو شرفتان راحَ ينأى عنهما القمر .

عيناكِ حين تبسمان تورقُ الكرومْ

وترقصُ الأضواءُ ... كالأقمار في نهَرْ

يرجّه المجذافُ وهْناً ساعةَ السّحَرْ

كانّما ينبضُ في غوريهما النجومْ ..

وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ

كالبحرِ سرّح اليدين فوقه المساء،

دفء الشّتاء فيه وارتعاشة الخريف ،

والموت ، والميلاد ، والظلام ، والضّياء؛

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 672- 673.

2- جيدة ، عبد الحميد : 1980م .الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر : ص 250.

فتستفيق ملء روحي رعشة البكاء) 1

ونلاحظ هنا أنّ (السّيّاب لم يذكر في هذه القصيدة أسماءً أسطوريّةً ، بل جعل المفاهيم والرموز الأسطوريّة تتسرب في داخلها تسرباً كلياً ، مما أدى في النهاية إلى وجود بناء أسطوري متكامل) 2 فهذه الافتتاحيّة تحيلنا إلى خطاب شعرنا العربي القديم ، عندما كان شعراؤنا يتوجهون في مقدمات قصائدهم إلى أنثى حقيقة أحياناً ، وإلى أخرى متوهمة أحايين كثيرة ؛ ولكنّه خالفهم في أنّه يتوجه إلى ربة الخصب والحبّ عشتار في أساطير البابليين 3، بدليل قوله " عيناكِ حين تبسمان تورقُ الكرومْ / وترقصُ الأضواءُ " بمجرد النظر من عينيها إلى الطبيعة تدب الحياة في أوصالها من جديد ، فتورق الكروم ، ويبدأ عرس الطبيعة " الأضواء ترقص " احتفالاً بعودة تموز " زوج عشتار "4 إلى العالم العلوي من جديد بعد أنْ غطّى المساء – بما يوحيه من الخوف والظلام والوحشة –البحر بدءاً من فصل الخريف فالشتاء ؛ وهذان الفصلان يشيران إلى نزول تموز من العالم العلوي إلى مثيله السّفلي ، وهنا يخيم " الأسى " و" الموت " و" الظلام " على الطبيعة وعناصرها ، وبمجرد أنْ يحلّ فصل الربيع تعود عشتار برفقة تموز إلى العالم العلوي فيعم " الميلاد " و" والضياء " و " تستفيق ملء روحي رعشة البكاء " .

ثم يعيد استعمال هذه الأسطورة مرة أخرى بقوله :

(في كل قطرة من المطر

حمراء أو صفراء من أجنّةِ الزَّهرْ .

وكلُّ دمعةٍ من الجياعِ والعراةِ

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 474- 475.

2- جيدة ، عبد الحميد : 1980م .الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر : ص 251.

3- الأصفر ، عبد الرزاق ، وسهيل عثمان : 1982م . معجم الأساطير اليونانية والرومانية ، وزارة الثقافة – دمشق . ص315.

4- تموز كلمة سومريّة وتعني (الابن الحقّ للمياه العميقة .. ويبدو في الأساطير القديمة أنّ تموز يموت كلّ عام ، وينتقل إلى العالم السّفلي المظلم ، فترحل خليلته الإلهية للبحث عنه ، وتموت عاطفة الحبّ في أثناء غيابها ، وتصبح الحياة مهددة بالفناء ، فيبعث " أيا " الإله العظيم رسولاً لإنقاذها ، وتعود إلى الأرض مع حبيبها تموز ، حتى تُبعث الطبيعة بعودتهما) للاستزادة يُنظر : عوض ، ريتا : 1968م . أسطورة الموت والانبعاث في الشّعر العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر . ص 42.

وكلُّ قطرةٍ تراق من دمِ العبيدِ

فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد

أو حُلمةٌ تورّدتْ على فم الوليدْ

في عالمِ الغدِ الفتيّ ، واهب الحياةِ !

مطر..

مطر..

مطر...) 1

فعندما يحلّ الخراب في المجتمع " الجياع " والعراة " ودم العبيد " لابدّ من هذا الألم أنْ يأتي " عالم الغد الفتي " وهو الرّبيع الذي يعيد إلى الطبيعة جمالها ونضارتها وخصوبتها . فمن مظاهر الموت سواء في الطبيعة والمجتمع يخلق فجر جديد و" مبسم جديد " وأجنة الزهر " والوليد " كلها رموز تشير إلى بزوغ فجر جديد تنتفي معه مظاهر الموت . فهو يؤمن بأن طريق الخلاص بالنضال وأصحاب الطبقات المسحوقة في المجتمع هم وقود الثورة ، فدم العبيد صار عند السّيّاب كدم السّيّد المسيح " عليه السّلام " ، أصبح الموت الفردي معجزة عنده . 2

ومثلما وظف السّيّاب أسطورة البعث والخصبّ ملحمة جلجامش الذي ذهب يبحث عن الخلود ، وعندما يعثر عليها يعود إلى ميدنته أوروك وفي طريق عودته تلك يعطش فينزل إلى بئر ليشرب ويترك خلفه زهرة الخلود ، فتأتي أفعى وتأكل تلك الزهرة . 3يقول :

(وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق

من زهرة يربها الفرات بالندى)4

ويذكر السّيّاب " ألف أفعى " ليرمز إلى مستغلي الشّعب العراقيّ آنذاك ، فبلده غنيٌّ جداً بالخيرات فـ

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 479- 480.

2- السصدر نفسه : ص ن ن .

3- ساندرز : د. ت. ملحمة جلجامش ، تر : محمد نوفل وغيره ، دار المعارف –مصر – القاهرة . ص 94.

4- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص481.

(منذ أنْ كنا صغاراً ، كانت السماء

تغيمُ في الشّتاءِ

ويهطلُ المطر ،

وكلُّ عام – حين يعشب الثرى – نجوعْ

ما مرَّ عامٌ والعراقُ ليس فيه جوعْ .)1

و(ينثر الغلال فيه موسم الحصادْ

لتشبع الغربان والجراد

وتطحن الشّوان والحجر

رحىً تدور في الحقول .. حولها بشرْ) 2

فثلما عمّ قلب جلجامش الفرح والسّعادة لحصوله على زهرة الحياة ، وفجأة تبدد كل شيء بسبب الأفعى ، كذلك الشعب العراقي على الرغم من خيراته الكثار يعمّ الجوع والألم بسبب أفعى مستغيله من النظام الإقطاعي الفاسد آنذاك .

الاستدعاء القرآنيّ :

ولعلّ من أهم روافد شعرنا العربي الحديث والمعاصر القرآن الكريم ؛ لما يتمتّع من لغة حيّة على مر الأزمان ، ونهل الشعراء من آياته وصوره وفواصله الشيء الكثير ، ولعلّ أهم الظواهر القرآنيّة التي وظفها **الشعراء في شعرهم ؛ ظاهرة التكرار ، والتّدوير ، والفواصل القرآنيّة 3.**
وذكر (السّيّاب) أنّه بدأ يسمع في عراقه بدء الثورة فالرعود والبروق كما ينذران بهطول المطر ، فهما رمزان في القصيدة للبدء بالثورة التي ستقضي على مستغلي الشعب العراقي آنذاك حكم نوري السّعيد والإقطاعيين يقول :

(أكاد أسمع العراق يذْخرُ الرعودْ

ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبال

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 479.
2- المصدر نفسه : ص 478.
3- جيدة ، عبد الحميد : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص 67-71.

حتّى إذا ما فضَّ عنها ختمها الرّجالْ

لم تتركِ الرياحُ من ثمودْ

في الوادِ من أثرْ .)1

يعيدنا قول السّيّاب : " لم تتركِ الرّياح من ثمود " مباشرة إلى العقاب الإلهي لقوم سيدنا صالح " عليه السّلام " ثمود وهم قوم من العرب ، أتوا بعد قوم هود " عليه السّلام " ولم يؤمنوا بما جاء به نبيهم صالح " عليه السّلام " ، وعقروا معجزته الناقة فحقّ عليهم غضب الله وعقابه . يقول تعالى : (وَأَخذَ الَّذينَ ظَلَموا الصّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا في دِيَارِهِمْ جَاثِمِين * كَأن لمْ يَغْنَوْا فِيها أَلَا إنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعداً لثَمُود) 2 فحسب القرآن الكريم وكما هو معروف أنّ الله تعالى عاقب قوم ثمود بالصحبة والرّجفة والصاعقة فبقوا في مكانهم جاثمين ، والسّيّاب لا يريد من مستغلي الشّعب العراقي أن يبقوا في مكانهم ، بل يريد أن لا يبقى لهم أثر كما فعل الله تعالى في عقاب قوم هود " عاد " بالريح الشّديدة يقول : (فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكبَرُوا في الأَرْضِ بغَيْرِ الحَقِّ وقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَ لَمْ يَرَوا أَنَّ الله الّذي خَلَقَهُم هُوَ أَشَدُّ مِنْهُم قُوَّةً وكَانُوا بِآيَاتِنا يَجْحَدُون * فَأَرْسَلْنا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ولَعَذابُ الآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لا يُنْصَرُونُ) 3.

و (المشهور عند المفسرين أنّ لفظ الرّياح إذا جاء في القرآن فإنّه يأتي في موضع الرحمة ، وإذا جاء لفظ الريح فإنّه يأتي في موضع العذاب ، وعللوا ذلك بأنّ ريح العذاب شديدة ملتئمة الأجزاء كأنّها جسم واحد ، وريح الرّحمة لينة متقطعة . ... وأكثر المفسرون من الاستدلال بحديث ابن عبّاس رضي الله عنه أنّه قال : " ما هبّت ريح قطُّ إلا جثا النّبي صلى الله عليه وسلّم على ركبتيه ، وقال : اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً ، اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً ") 4من ذلك قوله تعالى : (وَأَرْسَلْنَا الرِّياحَ لَوَاقِحَ) 5 وقوله تعالى : (وفي عادٍ إذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ العقِيمَ * مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إلا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ) 6

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 477.

2- القرآن الكريم : سورة

3- نفسه : سورة فصلت : 14 -15.

44الفرق بين الريح والرياح في القرآن الشّعراوي يوضح معلومات لا تعرفها . elbalad. News

5- القرآن الكريم : سورة الحجر : 22.

6- نفسه : سورة الذّاريات : 41- 42.

فالسّيّاب حوّر في عقاب ثمود من الصيحة وجَعْلهم جاثمين في مكانهم إلى عقاب قوم هود وهو الرّيح العقيم ، وحوّر من الرّيح إلى الرّياح فهل أراد رياح الرّحمة كما جاء عند جمهور المفسرين ، بالطبع لا ، أراد السّيّاب من الرّياح تلك التي (تأتي من أكثر من اتّجاه ... فيؤدي إلى سقوط المقابل لها في الناحية الأخرى) 1 أرادها رياح ثوريّة لا تبقي ولا تذر أيّ أثر لمن يستغل الشّعب العراقي . لذلك نرى السّيّاب يقول : " من أثر . "

ويعيدنا قول السياب :

(وأسمع القرى تئنُّ ، والمهاجرين

يصارعون بالمجاذيف وبالقلوع ،

عواصف الخليج ، والرّعود ، منشدين :

مطر ...

مطر ...

مطر ...) 2

إلى قوله تعالى : (واسْأَلِ القَرْيَةَ الّتي كُنَّا فِيها وَالعِيْرَ الّتي أَقْبَلْنا فِيها وَإنّا لَصَادِقُونَ) 3

والمراد اسأل أهل القرية لا القرية على سبيل المجاز المرسل علاقته المكانية (كما قال أبو بكر بن الأنباري : المعنى : اسأل القرية ، والعير ... فإنّها تجيبك ، وتذكر لك صحة ما ذكرناه ؛ لأنّك من أكابر أنبياء الله ، فلا يبعد أن ينطق الله هذه الجمادات معجزة لك حتى تخبر بصحة ما ذكرناه) 4 فأخوة يوسف يطلبون إقامة الدّليل لتأكيد صدقهم فهم صادقون ومع الدليل يكون صدقهم أقوى وأثبت (مبالغة منهم في التأكيد والتّقرير) 5. فأراد السّيّاب أن يقول : إن الظلم والألم والجوع والحرمان بلغ حدّاً عظيماً لدرجة بإمكانك أنْ تسأل القرى العراقية لتؤكد وتقرر صحة ما نقوله .

1- الفرق بين الريح والرياح في القرآن الشّعراوي يوضح معلومات لا تعرفها . elbalad. News

2- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 478.

3- القرآن الكريم : سورة يوسف : 82.

4- الزعم بأن المجاز في القرآن الكريم مة قبيل الكذب : bayanelislam.net

5- الرّازي ، فخر الدّين : د. ت. مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية –بيروت . تفسير الآية .

و يذكرنا قول السّيّاب :

(في كل قطرة من المطر

حمراءُ أو صفراء من أجنّةِ الزَّهَرْ .

وكلُّ دمعةٍ من الجياع والعراة

وكلُّ قطرة تراق من دم العبيدْ

فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسم جديد

أو حُلمةٌ تورّدتْ على فم الوليدْ) 1

بآيات كثيرة وردت فيها لفظة " كُلَ " من ذلك قوله تعالى : (إنّ اللهَ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ) 2 وقوله : (كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سبْعَ سَنَابِلَ في كُلَّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ) 3: وقوله :

(وُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ) 4" و (وكُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَإِنّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ) 5 ربّما كانت الغاية من تكرار استعمال " كل " في مواضع كثيرة من القرآن (تأكيد المعاني وإبرازها في معرض الوضوح والبيان) 6وكأن السّيّاب يريد فضلاً عن ذلك شمولية المعنى وحتميته فـ" كل قطرة من المطر .. وكل دمعة من الجياع والعراة .. وكل قطرة تراق من دم العبيد " فكل هذه الآلام ستتجمع رويداً رويداً وينتج عنها ثورة عارمة لا تبقي ولا تذر وكأنّه يردد مقولة من رحم المعاناة يولد الأمل " مبسم جديد و حلمة تورّدت على فمِ الوليدْ " فضلاً عما أعطاه تكرار لفظة " كل " من موسيقى داخلية صارخة مخالفاً في هذا الهمس في شعرنا المعاصر ، وهنا ارتفع إيقاع قصيتنا إلى مستوى أعلى من ذي قبل قياساً إلى الأسطر السّابقة التي تذكر معاناة الشعب العراقي من الجوع والفقر فهو يقول :

(ومنذ أنْ كنّا صغاراً ، كانت السّماء

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 480.

2- القرآن الكريم : سورة البقرة : 20.

3- نفسه : وعينها : 261.

4- نفسه : سورة آل عمران : 25.

5- نفسه وعينها : 185.

6- ما الحكمة من التكرار في القرآن islamweb. Net

تغيمُ في الشّتاء

ويهطل المطر ،

وكل عام – حين يعشب الثرى – نجوعْ

مطر ...

مطر ...

مطر ...) 1

فنلاحظ إيقاع هذا المقطع هادئ وهو يصف ما حل بشعبه من فقر وجوع على الرّغم من خيرات عراقه الكثيرة ، وكأنّه استلم لهذا الوضع ثم ينهض من جديد ليرتفع معه إيقاع أسطره الشّعريّة لتعلن معه أنّ من رماد الموت تولد حياة جديدة أبهى وأجمل ، ويأتي مع هذا الإيقاع الداخلي الصّارخ موقع تكرار لفظة " كل " التي توحي بالجزم في بداية كل سطر شعري لأهميتها لتقوّي ما يذهب السّيّاب إليه ويرسخه في نفوس شعبه ومتلقيه معاً .

ووظّف (السّياب) ظاهرة الفاصلة القرآنيّة ؛ والأخيرة هي آخر كلمة في الآية مثل قافية الشعر وسجعة النّثر 2، ولهذا قدرة على إحداث إيقاع يساعد على حفظ الآي القرآنيّة ، و(الجمال في أسلوب القرآن سببه أنّ معظمه جاء متناسق المقاطع حتى ليصلح أنْ يضمن في شعر الشّاعر دون مشقة ... فمن جمال الأسلوب القرآني ما وقع فيه ذلك القدر العظيم من آيات موزونة موسيقية تطمئن إليها الأسماع وتنفذ إلى القلوب) 3. وساعدت فواصل القرآن الكريم جواز الإيطاء 4في الشعر بعد أن كان مكروهاً في شعرنا القديم ، واستغلّ السّيّاب ذلك في قصيدته أيما استغلال فنراه يأتي بقافيته " مطر " ثلاثية ومرة ثنائية . يقول :

(ودغدغت صمت العصافير على الشّجر

أنشودةُ المطر ...

1– السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 479.

2– الحسناوي ، محمد : الفاصلة في القرآن جار الأصيل – حلب ، ط: 1، ص 26.

3– أنيس ، إبراهيم : 1952م . موسيقى الشّعر : مطبعة الأنجلو المصرية . ص 306.

4– الإيطاء : هو إعادة لفظة القافية نفسها بمعناها . للاستزادة يّنظر : الحسناوي ، محمّد : 1975م . الفاصلة والشعر الجديد : مجلة الثقافة العربية الليبية ، ع 3، ص 39– 44

مطر ...

مطر ...

مطر ...) 1

ومرة يقول :

(وينثرُ الغناء حيث يأفل القمرْ

مطر ..

مطر ..)

ولم تحدث هذه اللازمة في زعمنا ثقلاً على أسماع المتلقي بل على العكس أوحت بأن قطرات المطر تنهمر رويداً رويداً وساعدها على ذلك هذه النقاط الثلاثية عندما تكون اللازمة ثلاثية ، وتلك النقاط الثنائية عندما تكون اللازمة ثنائية ثم يأتي البياض ليشعر المتلقي بأنّ المطر مازال ينهمر ليعشب الأرض وعناصرها .

الاستدعاء الشّعريّ :

أ- الشعر العربيّ القديم :

كانت المرأة ولمّا تزل ملهمة الشّعراء بدءاً من ملحمة جلجامش إلى عصرنا هذا ، وعودة سريعة إلى نظرية عمود الشّعر توضّح أهميتها ، فالوقوف على أطلالها كان في مقدمة أغراض الشعر العربي القديم ، وهذا نظنّه- فضلاً عما ذكره النقد العربي القديم تفسيراً لهذا الوقوف - تكريماً لها لدورها في إنجاب الأشاوس الذين يدافعون عن شرف الجماعة .

بدأ قصيدته بالتوجه إلى عيني امرأة مجهولة الدّلالة ؛ فالمتلقي لايعلم هل هي محبوبته ، أو زوجه ، أو عراقه ؟ وهذا المفتتح في زعمي أجمل ماقيل في التغزل بعيني امرأة ؛ إذ جمع بين التصورين الكلي والجزئي ، وشبه عيني محبوبته بمشبه صادم لأفق توقع المتلقي ؛ فمرة بغابتي نخيل ساعة السّحر وما توحي هذه الصّورة من الجمال الآسر الأخاذ ، ومرة بشرفتين راح ينأى القمر عنهما رويداً رويداً ، صورة أخرى صادمة لأفق توقع متلقيه ، وفي غاية

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 475.

الرّومانسية والجمال ؛ فطرفا المشبه والمشبه متنافران ؛ وهذا نظنّه من أثر الشعر الأجنبي في شعره وخياله . وسنرى ذلك لاحقاً .

نعود إلى المفتتح الذي بدأه بالتوجه إلى امرأة مجهولة ، وهذا يذكرنا بتلك المقدمات الطّللية في شعرنا الجاهلي ؛ فالشاعر كان أحياناً لا يذكر اسم محبوبه لأسباب عديدة كقول عمرو بن كلثوم:

(ألا هُبِّي بِصَحنك فاصْبِحينا ولا تُبْقِي خُمورَ الأندَرِينا) 1

وأحياناً أخرى يذكر اسمها يقول الحارث بن حلزة :

(آذنتنا بِبَيْنِها أسْماءُ ربّ ثاوٍ يَمَلُّ منه الثّواء) 2

ومازال هذا التّقليد مستمرأ إلى أيامنا هذه ، والمرأة تمنح السعادة والفرح بوصلها، وبصدها تحوّل حياة الشّاعر إلى شقاء وحزن وبؤس .

وتعيد صورة البحر وقد غطّاه المساء في قول السّيّاب :

(وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ

كالبحرِ سرَّحَ اليدين فوقه المساء ،) 3

صورة امرئ القيس عن اللّيل . شبّه (السّيّاب) المساء بكائن ضخم ، غطّى البحر بكامله ، وتوحي هذه الصّورة بالاختناق ، والكآبة ، والعتمة ، والوحشة ، والرّهبة ، وربّما أجاد السّيّاب أكثر من امرئ القيس في صورته عن اللّيل يقول الأخير :

(وليلٍ كمَوْجِ البحرِ أَرخى سُدُولَهُ عليّ بأنواعِ الهمُومِ ليَبْتَلِي

فقلتَ له لمّا تمطّى بجوْزِه وأردفَ أَعجازاً وناءَ بكَلكَلِ

أَلا أَيُّها اللّيلُ الطّويلُ أَلا انْجلِى بصبحٍ وما الإصباحُ فيكَ بأمثلِ)4

1التبريزي ، الخطيب : 1343. شرح القصائد العشر ، المطبعة السلفية – القاهرة ، ص 209 .

2- المرجع نفسه : ص 241 .

3- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 474.

4- القيس ، امرؤ : د. ت . الديوان ، رواية الأصمعي من نسخة الأعلم ، ج: 1، د. دار نشر . ص 18.

فـ(شبّه اللّيل بموج البحرفي تراكمه وشدّة ظلمته وتتابعه ... اشتمل عليه اللّيل بأنواع الهموم ليختبر ما عنده من الصّبر والجزع) 1، وهذه الصّورة التشبيهيّة توحي بالضجر، والملل والسّأم ، بينما صورة (السّيّاب) توحي بالعتمة والاختناق كما قلنا سابقاً . وهذه الصورة عند امرئ القيس والسّيّاب تختلف تماماً عن صورة أبي العلاء المعري لليلته يقول :

(ليلتي هذه عَروسٌ من الزّنْـ ـجِ ، عليها قلائِدٌ مِنْ جُمانِ) [2]

وهذا الفرق الشاسع بين صورة الليل عند (السّيّاب) و(امرئ القيس) من جهة وصورة الليل عند (المعري) يزيد من قوة الإحساس بالشعور بالاختناق والعتمة كما ذكرنا سابقاً .

ويصوّر (السّيّاب) صورة واقعيّة جميلة ومتكررة في كل زمان ومكان ، وهي تراكض الأطفال وصخبهم بعد انقطاع المطر بين عرائش الكروم ، وهذا يعبّر عن فرح تلك الكائنات البريئة بالمطر ، بل حتى العصافير تُكثر من الأصوات الفرحة بنزول المطر ، فيراها تخرج عن صمتها وتبدأ بالزقزقة . يقول

(وكركرَ الأطفالُ في عرائشِ الكروم ،

ودغدغتْ صمتَ العصافيرِ على الشجر

أنشودةُ المطر ...

مطر ...

مطر ...

مطر ...) [3]

وهذه الصّورة الجميلة تعيد إلى ذاكرتنا من جديد صورة لامرئ القيس لطيور " مكاكي " الوادي المعروفة بكثرة الحركة والأصوات وقت الخصب ، وكأنّها صارت – عند امرئ القيس –سكارى قد شربت عصارة الخمرة الصافية مضافاً إليها الفلفل الحاد .

(كأنّ مَكَاكِيَّ الجِواءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافاً من رَحيقٍ مُفلْفَل)1

1– المصدر نفسه : الصفحة عينها .

2– أبو العلاء المعريّ : 1957م . سقط الزّند ، دار بيروت ، دار صادر – بيروت . ص 94.

3– السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 475.

فـ (المكّاء لمّا رأى الخصب والمطر فرح وصوّت كأّ،هـ شاربٌ مُغَنٍ) 2

ويذكرنا أيضاً بمطر أبي تمّام (ت 231هـ) وصحوه . يقول :

(لولا الّذي غرسَ الشّتاءَ بكفّهِ قاسى المصيفُ هشائماً لا تُثْمِرُ

كم ليلةٍ آسى البلادَ بنفسهِ فيها ويوم وبلهُ مثعنجرُ

(مطرٌ يذوبٌ الصحوُ منهُ وبعدَهُ صحوٌ يكادُ من الغضارةِ يقطرُ)(3)

يجمع أبو تمام هنا بين النّقضين المطر والصحو في صورة مدهشة تعكس نظرة صاحبها العميقة إلى الوجود ، فلشدّة شفافية المطر يكاد يذوب منه الصحو ، ولشدة رقة وشفافية الأخير يكاد يمطر ، إنّها صورة مدهشة من صور أبي تمام في وصف الرّبيع وجماله . ولكنّنا نزعم أنّ صورة " السّيّاب " أكثر شفافية من صورة أبي تمام .

ويقول الشاعر العباسيّ سلم الخاسر(4) (ت 186هـ) في مدح الخليفة الهادي:

(موسى المَطَر غيَثٌ بِكَر

ثمَّ اِنْهَمَر أَلوى المِرَر

كَمْ اعْتَسر ثُمَّ اِتَّسَر

وكمْ قَدَر ثم غفر

عَدلُ السِير باقي الأَثَر

خيرٌ وَشَر نفعٌ وَضَر

خَيرُ البَشَر فِرعُ مُضِر

بدرٌ بَدَر والمُفْتَخر...) 1

1– لم نعثر على هذا البيت في ديوان امرئ القيس برواية الأصمعي . ابن الأنباري : د.ت . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، دار المعارف – القاهرة . ص 110.

2– المرجع نفسه : ص 110– 111.

3– أبو تمام : ديوان أبي تمّام الطائي ، تفسير : محيي الدّين الخيّاط ، المعارف العمومية – نومرو 413 . ص 157.

4– سلم الخاسر هو أحد الشّعراء العباسيين المخضرمين وكان تلميذ بشار بن برد ، ابتكر أوزاناً لم يسبقه إليها أحد . فكان من مجددي العصر العباسيّ . يُنظر : ابن المعتز . د. ت. طبقات الشّعراء .تح : الهواري ، د. نشر ، ص 90.

هذه القصيدة نظمها (الخاسر) على تفعيلة بحر الرجز " مستفعلن " ، وبموازنة بسيطة بين القصيدتين نرى أن (السّيّاب) نظم قصيدته على التفعيلة نفسها " مستفعلن " وكررها بعدد غير ثابت في أبياته الشعرية ، فالسّطر الشّعريّ قد يطول عندما يكون السّيّاب هادئاً كقوله :

(عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السّحَرْ ،

أو شرفتان راحَ ينأى عنهما القمر .

عيناكِ حين تبسمان تورقُ الكرومْ

وترقصُ الأضواءُ ... كالأقمار في نهَرْ

يرجّه المجذافُ وهْناً ساعةَ السّحَرْ) 2

وقد يقصر عندما يكون انفعال الشاعر قوياً كقوله :

(فيرجعُ الصّدى

كأنّه النشيجْ :

يا خليج

يا واهب المحار والردى ..) 3

بينما سلْم الخاسر كررها بعدد ثابت تفعيلة واحدة في كل بيت شعريّ ، واستغلّ الشّعراء المعاصرون هذه التفعيلة كثيراً في أشعارهم لما (تسهل على الشّاعر الكتابة وتعطيه الحرية الزائدة في التنقل بسبب جوازات التفعيلة " مستفعلن " التي تأتي بصور مختلفة : مستفعل ، متفعلن ، مستفعلن فعولن) 4. أمّا حرف الرّوي استخدم " السياب " حرف الراء في أغلب قصيدته ، وهو حرف الروي في قصيدة " سلم " نفسه . هذا من ناحية الإيقاع . أمّا من ناحية المضمون فـ" السّيّاب " استخدم ألفاظاً شبيهة بألفاظ " سلم " من مثل : المطر، انهمر . و شبّه" سلم " ممدوحه " موسى " بالمطر على سبيل التشبيه البليغ ، في حين نرى السّيّاب

1- موسى المطر غيث بكر – سلم الخاسر – الديوان – موسوعة الشعر العربي . www. aldiwan.net

2- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 474.

3- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 477.

4- جيدة ، عبد الحميد : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص 80.

استخدم المطر رمزاً للثورة فكما للمطر قدرة على إحياء الأرض بعد جدبها ، فله فعل إخصابي بعد شهور العجاف ، فللثورة لها قدرة على تصحيح الأمور ، وإحياء الشّعوب بعد موتها معنوياً . ولكنّه تدرج بهذه الدلالة تدريجيّاً للمتلقي ؛ إذ كرر المعجم الفني الإفرادي " المطر " خمساً وثلاثين مرة ، ولهذا دلالة ؛ فهو يريد هذه المفردة بالذات ثم نوّع دلالاتها من ظاهرة طبيعية كونيّة :

(كأنّ أقواس السّحاب تشرب الغيوم

وقطرةً فقطرةً تذوب في المطر) 1

فعادة المطر يسبقه ظهور الغيوم والسّحب الكثيفة وبعدها ينزل المطر . وعندما ينهمر بغزارة يُسبّب الحزن والدم والموت أيضاً ، وهنا يتحدّث " السّيّاب " إلينا بطريقة واقعية جداً . يقول :

(أتعلمين أيَّ حُزنٍ يبعث المطر ؟

وكيفَ تنشجُ المزاريب إذا انهمر ؟

وكيف يشعر الوحيد فيه بالضّياع ؟

بلا انتهاء – كالدّم المراق ، كالجياع ،

كالحبّ ، كالأطفال ، كالموتى – هو المطر) 2

وأخيراً يصبح المطر أمل الشّعوب في الحياة بعد الموت والخراب يقول :

(في كلّ قطرةٍ من المطر ....

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد) 3

وهذا يدلُّ على ذكاء ومهارة السّيّاب في التصرف في الدلالات الجاهزة للدوال ، وتحويلها إلى دلالات شعريّة آسرة ، فضلاً عمّا حققه له هذا الرّمز من حماية له من أيدي حكّام شعبه آنذاك.

ب – الشّعر الأجنبي :

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 475.

2- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 476.

3- المصدر نفسه : ص 479.

يستدعي عنوان قصيدة (السيّاب) " أنشودة المطر " عنوان قصيدة وردزورث (أنشودة الخلود) [1]و عنوان قصيدتَيْ سيتويل (انشودة الوردة) و (ما زال يهطل المطر) [2]

ويرى النّقاد أنّ دراسة (السيّاب للأدب الإنكليزي قادته إلى الإعجاب بشاعرين إنكليزيين كبيرين وهما ؛ الشاعرة "إديث سيتويل " و " ت . س . إليوت " (1889– 1964م) وكلاهما من شعراء الفكرة والموضوع)3

ولعلّ أكثر قصيدة لإليوت تأثّر شعراؤنا المعاصرون بها قصيدة " الأرض اليباب " (وهي ترجع في التاريخ إلى عام 1921م والأرض عند إليوت في هذه القصيدة ليس التُراب الذي نسير بأقدامنا عليه ، ولكنّها " هذا العالم الإنساني والخراب عنده في هذه القصيدة أيضاً ليس الدمار في الأبنية وسفك الدماء ولكنه " القحط " الذي نزل بالعاطفة الإنسانية وبالفكر الإنساني بعد الحرب العالمية الأولى ... أما الغرض الأساسي في القصيدة فيدور على نجاة هذه الأرض الخراب أو هذا " العالم الخراب على سبيل الإمكان لا على سبيل الجزم ويستمد إليوت الأدلة على ذلك من أنماط الطبيعة وأدوارها) [4]

ويرى عبد الحميد جيدة أنّها (تحمل معاناة الإنسان الذي يتمزّق من شرور المجتمع وما يحتويه من متناقضات هائلة ، ومن جشع ، وخبث هذ الإنسان الذي سحقته حضارة القرن العشرين ، وما تحمله من أدوات هدم وتدمير وتخريب ..) [5] لذا نرى إليوت يقول :

(أيّتها المدينة الزائفة

تحت الضّباب الأسمر في ظهر يوم شتاء

رغم أنّي ضرير ، ورغم أنّي أخفق بين حياتين

ورغم أنّي شيخٌ هرمٌ بثديين ذابلتين كأثداء النّساء

أستطيع أنْ أرى في ساعة البنفسج ، وساعة المساء) [6]

---

[1]- بريسم ، طارق حبيب : 1990م . الرومانسيّة بين وردزورث وبدر شاكر السّيّاب ، جريدة الجامعة – بغداد ع : آذار .

[2]- لؤلؤة ، عبد الواحد : 1982م . النفخ في الرّماد ، وزارة الثّقافة – بغداد . ص 172،182.

3– جيدة ، عبد الحميد : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص 142.

[4]- فروخ ، عمر : هذا الشّعر الحديث : ص 194.

5– فروخ ، عمر : هذا الشّعر الحديث: 141.

6 – متّى ، فائق : 1966م. إليوت : دار المعارف – القاهرة ، ص 120.

إنّ إليوت يريد أنْ يُجدّد الحياة تجديدا سيكولوجيّاً وروحانيّاً بحتاً [1]. وقصيدته" الأرض اليباب" (تحمل رؤية ريفية لأوربة بعد الحرب العالمية الأولى ، وتعبّر عن إحساس بالجدب والقحط ، بسبب فقدان الإنسان القيم وبعده عن ينابيع الرّوح) يقول إليوت :

(الصّخور بلا ماء

نعم . الصخرة جافة والطريق مائ بالرمال

فهو طريق ملتوٍ عبر الجبل

والجبال صخرية بلا ماء

لو وجدنا الماء لتوقفنا عن المسير وأطفأنا غلتنا

لكنّه من العسير علينا أن نتوقف أو نفكّر بين الصّخور

حيث العرق جاف والأقدام في الرّمال

آه لو وجدنا الماء بين هذه الصخور) [2]

فالعالم – عند إليوت في يبابه –مجدب لا ماء فيه ، وهذا يعني لا وجود للحياة فيه ، إلى درجة أنّ العرق جفّ ، وهو يتابع المسير ، ويتمنّى أن يجد الماء بين الصخور . ثم نجده يبثُّ في قصيدته شيئاً من التفاؤل على لسان العرّاف تريزياس . يقول :

آه لو أسمع صوتَ الماء

لاصوتً الجرادة

أو حفيفً الحشائش الجافة

بل صوتً الماءِ فوق الصخور

هنالك حيث العصفورُ يغرد للناسك

على أشجارِ الصنوبر

1– جيدة ، عبد الحميد : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر : 142.

2– متى ، فائق ، إليوت : ص 135 .

قطرة قطرة قطرة قطرة قطرة قطرة قطرة قطرة قطرة

دون أيِّ أثرٍ للماء .)[1]

جعل التفاؤل يأتي على لسان العرّاف ، وكأنّه يوحي بأن خلاص العالم من اليباب يأتي من خلال الدين ، ولكنّ هذا التفاؤل سرعان ما يتبدد ، فعرّافع يودُّ أنْ يسمع فقط صوت ماء لا صوت اليباس والقحط المتمثلين بالجرادة التي تأكل الأخضر واليابس وصوت الحشائش المصفرة من القحط ، ويخلق لنا جوّاً جميلاً فبمجرد ودود الماء تبدأ الحياة تدبُّ في أوصال الطبيعة ، والعصفور يبدأ بالغناء على أشجار الصنوبر، لكنّه يستيقظ من هذا الحلم ، ليقرر لنا أن عرافه لم يعثر على أي أثر للماء أي الحياة .

ثمة نقاط التقاء واختلاف بين قصيدتي إليوت " الأرض اليباب " والسيّاب " أنشودة المطر " ؛ أمّا نقاط الالتقاء فتبدو لنا في هذا التكرار الذي جاء عند إليوت للفظة قطرة تسع مرات متتالية ، وهي حلم العراف ، وكرر السيّاب لازمته مطر ... مطر ... مرة ثنائية ومرة ثلاثية ، وهي تعبّر عن حلم طبقات شعبه المسحوقة بالثورة التي تعيد لهم الحياة الحرة والكريمة .

وأمّا نقاط الاختلاف فتبدو في أن إليوت منذ بداية القصيدة كان متشائماً ، يعبّر عن خواء الجنس البشري من القيم والأخلاق لبعدهم عن المثل العليا والقيم الإنسانيّة ، لذا ينهي كلام العراف بقوله " دون أي أثر للماء " بينما عالم السّياب فيه الكثير من الخير من غلال ولؤلؤ وأمطار ، ولكن كل هذا يذهب إلى مستغلي الشّعب العراقي يقول :

(وفي العراق جوعْ

وينثر الغلالَ فيه موسم الحصادْ

لتسبع الغربان والجراد

وتطحن الشّوان والحجر

رحىً تدور في الحقول .. حولها بشرْ

مطر ..

مطر ...

1- المرجع نفسه : ص 137 .

مطر ...) [1]

فثمة موسم للحصاد في عراقه ، وثمة غلال كثيرة ، ورحى طحن القمح تدور وحولها بشر ، ولكنّ هذه الخيرات كلّها تذهب للغربان والجراد ، وهما رمزان يريد من خلالهما الإشارة إلى النظام الملكي الفاسد لنوري السّعيد وللإقطاع .

ويقول في مقطع آخر مؤكداُ الرؤية نفسها :

(ومنذ أنْ كنا صغاراً ، كانت السّماء

تغيم في الشّتاء

ويهطل المطر ،

وكلّ عامٍ – حين يعشبُ الثرى – نجوعْ

ما مرَّ عامٌ والعراق ليس فيه جوعْ

مطر ...

مطر ...

مطر ..)[2]

ففي كل عام ينزل المطر من السّماء ، التي تخصب الأرض العراقية ، ولكن في كل عام يجوع الشّعب العراقيّ أيضاً . ونلاحظ أنّه يختم المقطعين بلازمته مطر الثلاثيّة ، وكأنّه يشير إلى أنّ مطر السّماء يعيد إلى الأرض خصوبتها ، ومطر الثّورة التي ستقوم بها تلك الطبقات الكادحة والجائعة سيعيد لها حياتها الكريمة .

(وكلّ دمعة من الجياع والعراة

وكل قطرة تُراق من دمّ العبيد

فهي ابتسام في انتظار مبسمٍ جديد) [(3)]

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 478

2 – السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : 479.

3 –المصدر نفسه : ص 479

والشّاعرة الثّانية الّتي تأثّر فيه (السّيّاب) هي إديث سيتويل (1887–1964م) ، ولاسيما قصيدتها (ما يزال المطر يهطل) الّتي كتبتها إبان الحرب العالمية الثّانية ، عندما بدأت الطائرات الألمانية تقصف لندن عام (1940م) :

(ما يزال المطرُ يسقطُ

مظلماً كعالمِ الإنسانِ ، قاتماً كضياعِنا

أعمى كألف وتسعمئة وأربعين مسماراً

فوق الصليب

ما يزال المطر يسقط)[1]

ثمة نقاط التقاء واختلاف بين قصيدتَيْ (ما يزال المطر يهطل) لِـ (إديث) و" أنشودة المطر " لِـ (السّيّاب) ؛ أمّا نقاط الالتقاء فتبدو لنا في استخدام لفظة " المطر " بوصفها رمزاً طبيعيّاً شعريّاً ، وفي تكرار لازمة معينة ؛ فـ (إديث) تكرر : (ما يزال المطر يهطل) ، والسّيّاب كرر لازمته مطر ... مطر ...

أمّا نقطة الاختلاف بين القصيدتين فتتجلّى ؛ في أنّ مطر السّيّاب رمز به إلى الثّورة الشّعبيّة التي ستحقق للشعب العراقيّ الحياة بعد الموت ، فهو رمز الخصب والبعث . بينما عند (إديث) فإنّه (يحمل عالماً مظلماً ومشوّهاً بالإثم ، ويرتبط هطوله بالنّار والقنابل ، مبيّنة مطر الموت ، ومطر الطّمع ، ومطر العذاب) [2] كما رأينا ذلك في المقطع السّابق من قصيدتها (ما يزال المطر يهطل) . وثمة اختلاف آخر تقول :

(تحت المطر الجرح والذّهب هما واحد

وما يزال المطر يهطل عندئذ

أواه ، سأقفز إلى إلهي الذي يشدني إلى الأسفل

انظر انظر حيث دم المسيح يجري في السماوات

1– العظمة ، نذير : 1976 م . إديث سيتويل ومؤاثرتها في شعر السّيّاب ، مجلة المعرفة – دمشق . ص 61 –62 .

[2]- عيد ، محمد عريب : مقاربة بين قصيدتي " ما يزال المطر يهطل " لـ " إديث سيتويل " و" أشودة المطر " " لبدر شاكر السّياب ، www. Thakafamag.com

إنّه يفيضُ من الجهة التي سحرتاها على الشّجرة

حتى القلب المنازع الظّامئ ..) [1]

واضح جو الحزن والعقم واليأس في جو القصيدة ، لكنّها ترى المخلص من هذا الجو هو السّيّد المسيح " عليه السّلام " . فهي تصدر عن مرجعيّة دينيّة ، وبينما (السّيّاب) يرى أنّ المخلّص من الجو المأساوي هو الشّعب نفسه من خلال الثورة الشّعبيّة .وهو يصدر هنا عن أساطير بابلية محلية ترى أنّ الحياة تبزغ من الرماد والموت .

و تستدعي " أنشودة المطر " قصيدة (أغنية إلى الرّياح الغربيّة) لِـ(شيلي)

(1792– 1822م) ، ولعلّها (خير ماكتبه هذا الشّاعر ، وأنْ النّقاد قد نظروا إليها دائماً على أنّها تمثّل الرّومانسيّة القوية بأجلى مظاهرها ، وعدّوها بأبدع ما قيل من الشّعر على مستوى العالم كلّه ، واصفين إياها بأنّها قصيدة القصائد ، وترنيمة عالمنا الخاص) [2]، ثمة نقاط التقاء واختلاف بين تلك القصيدتَين ؛ فموضوعهما واحد ، وهو القدرة على البعث بعد الموت كما يجري في الطّبيعة تماماً هذا من جهة ، ومن جهة ثانية تحاول القصيدتان إضفاء جو من التّفاؤل بعد سيطرة التّشاؤم [3]. يقول شيلي :

(يا رياح البحرِ العاصفة

يا نفس ينبعث من كيان الخريف

أنت يا من تساوق أمام وجودك الخفي

الأوراق المالية كأشباح تولي هاربة

من ساحر صفراء وسوداء وشاحبة وحمراء محمومة

جموع روعها الوباء أنت) [4]

يُبرز (شيلي) التفاؤل من خلال هذا الجو المفعم بالتشاؤم . يقول :

---

[1]- المرجع نفسه .

2– كتاب الأدب المقارن – جامعة المدينة www. Al – maktaba.org

3– المرجع نفسه .

4– كتاب الأدب المقارن – جامعة المدينة www. Al – maktaba.org

(حتى تجيء أختك اللاذة والدوية

ريح الرّبيع وتنفخ في بوقها فوق الأرض الحالمة

فتدفع البراعم الحلوة أسراباً تغتدي في الهواء

وتملأ السّهل والتل بالعبير والألوان المحليّة) [1]

والأمر نفسه عند (السّيّاب) إذ نراه يقول :

(وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد

أو حُلمةٌ تورّدتْ على فم الوليدْ

في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة !)[2]

فكل الألم " دمعة – الجياع – العراة – قطرات دم العبيد " هو تحضير لبزوغ ربيع جديد " مبسم جديد – عالم الغد الفتي – الحياة " . فالسّيّاب متفق مع (شيلي) في أنّ : من قلب الموت تولد الحياة . وكلاهما يؤمن بحتمية التّغيير ؛ فـ(شيلي) يقول :

(أيُّتها الريح

إذا ما أتى الشتاء ، فهل يتأخر الربيع بعده كثيرا ؟) [3]

أمّا نقطة الاختلاف بين القصيدتين ؛ فـ(شيلي يرى في ذاته وفي صوته الفردي الخاص رسولاً إلى التّغيير وتحقيق الخلاص ، وهي من غير شكّ رؤية فردية شعرية تثق بالشعر وترى فيه خلاص البشرية) [4]، يقول :

(أيتها الثائرة

1- المرجع نفسه .

2- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 479 -480.

[3] - المسيري ، عبد الوهاب ، ومحمد علي زيد . 1979م. مختارات من الشّعر الرومانتيكي الإنكليزي ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنشر – بيروت . ص 342-346.

[4]-محبّك ، أحمد زياد : الاستدعاء الثقافي في " أنشودة المطر " قراءة ثقافية حرة : ص 33.

ادفعي أفكاري الميتة في أرجاء الكون

كما تدفعين الأوراق الذابلة

لتعجلي بميلاد كون جديد

وبسحر هذه الأشعار

انثري كلماتي على البشر

كالرماد والشرر من نار لم تخمد

كوني خلال شفتي نفير نبوءة

إلى العالم الغافل) [1]

ويطلب (شيلي) من الرّياح الغربيّة أنْ تخلصه من آلامه و أفكاره السوداويّة ، كما تخلّص الكون من أوراق الخريف الصّفراء الذّابلة ، ويطلب منها أنْ تساعده لنشر أشعاره بين البشر والعالم الغافل ، لتعجل بميلاد جديد للكون أجمع . إذن : صوته الشّعريّ المخلّص من شرور العالم وآثامه ، وميلاد حياة جديدة وكون جديد ، في حين أنّ (السّيّاب) يرى أنّ المخلّص هو تفاقم دموع الجياع والعراة وتقديم قوافل الشّهداء ، أي الثّورة ضد الظّلم . يقول :

(وكلّ دمعةٍ من الجياع والعراة

وكلّ قطرة تراق من دم العبيدْ

فهي ابتسامٌ في انتظار مبسم جديد

أو حُلمةٌ تورّدتْ على فم الوليدْ

في عالم الغد الفتيّ ، واهب الحياة !

مطر ...

مطر ..

1– كتاب الأدب المقارن – جامعة المدينة www. Al – maktaba.org . ويُنظر : المسيري ، عبد الوهاب ، ومحمد علي زيد : مختارات من الشّعر الرومانتيكي الإنكليزي : ص 346.

مطر ...

سيُعشبُ العراق بالمطر ...) [1]

فـ (رؤية (السياب) تختلف الاختلاف كلّه ؛ فهو واثق بحتمية التغيير ، وهو يراه قادماً ، ولكن ليس من خلال نبوءة أو رؤية شعرية فردية ، وإنّما من خلال رؤية القهر والطغيان والاستبداد وقد تفاقم ، ممّا يؤكّد حتمية انبعاث الثّورة التي يفجّرها البائسون الفقراء ليصنعوا الغدالأجمل) [2]

وثمة اختلاف آخر بين صور القصيدتين فـ (ممّا لاشكّ فيه أنّ صور الطّبيعة لدى (شيلي) أكثر قوة وعنفواناً ، وهي ذات طابع كوني شامل، على حين أنّ صور الطّبيعة لدى (السّيّاب) أكثر سحراً وجمالاً ، وهي ذات مسحة حزينة ، وهي معبّرة عن طبيعة وطنه بما ذكر من نخيل ولؤلؤ ، وصياد ، وفلاحين ، ومهاجرين) [3] يقول شيلي :

(آه ، ارفعيني موجة أو ورقة أو سحابة

هأنذا أسقطُ على أشواك الحياة ويسيح دمي

إنّ وطأة الحياة الثقيلة قد غلتوأحنت ظهر إنسان

يشبهك أنت

شروداً سريعاً ومتكبراً) [4]

في حين يقول (السّيّاب) ونلاحظ هنا جماليّة صوره ورقتها وعذوبتها :

(عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السّحَرْ ،

أو شرفتان راحَ ينأى عنهما القمر .

عيناكِ حين تبسمان تورقُ الكرومْ

وترقصُ الأضواءُ ... كالأقمار في نهَرْ

يرجّه المجذافُ وهْناً ساعةَ السّحَرْ

1- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 479 -480.

2- محبّك ، أحمد زياد : الاستدعاء الثّقافي في " أنشودة المطر " قراءة ثقافية حرة : ص 33.

3- المرجع نفسه : الصّفحة عينها .

4- كتاب الأدب المقارن – جامعة المدينة www. Al – makta عيناba.org

كانّما ينبضُ في غوريهما النجومْ ..

وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ .) [1]

يتجلّى في هذا المفتتح (الشّعريّ التّداخل بين الذات الشّاعرة والخارج الحسيّ فعيون الحبيبة ماثلة في صورة الوطن الذي يتماوج في مخيلة الشّاعر ومشاعره في مشهد غابات النّخيل ، ويندمج الزّمن بالصّورة حيث السّحر وانسحاب القمر الذي راح ينأى رويداّ رويداً ليُشكّل بعداً نفسيّاً آخر ، تتلاقى الأضواء والابتسامات مع خيط الفجر وسنا النّجوم على مياه النّهر المرتج ، وتحمل هذه الصّورة وراءها حركة للانبعاث الذي تبدو ملامحه من خلال التّناسق اللّغوي الذي يشي بصورة التّجدد والميلاد .) [2]

الشّعر العربيّ الحديث والمعاصر:

بداية يستدعي عنوان القصيدة " أنشودة المطر" عنوانات متعدة لقصائد في شعرنا الحديث والمعاصر منها على سبيل المثال لا الحصر؛ " نشيد الجبار أو "هكذا غنّى بروميثوس " لأبي القاسم الشّابي ، ومطلعها :

(سأعيشُ رغم الدّاءِ والأعداءِ كالنّسرِ فوقَ القمّةِ الشّماء) 3

يؤكّد الشابي أنّه سيتعلى على مرضه وأعدائه ، ويعيش محلّقاً في سماء الإبداع، فنشيد " الشّابي" ذاتيّاً . بينما كان نشيد " السّيّاب " (طبيعيّاً واجتماعيّاً) 4 ؛ إذ نراه يستعير أنشودة الطبيعة وهي المطر ليحوّل جدبها إلى خصب وعطاء ، ويتدرج بالمتلقي لينتهي إلى دلالة اجتماعية أكبر ، فكما أنّ المطر يعيد إلى الطبيعة خصبها و نضارتها ، فالمطر الثّوري الذي تقوم به الطّبقات المسحوقة في المجتمع يعيد إلى المجتمع الخصب والحياة الحرة والكريمة . ارتبط العنوان (بنص القصيدة بدلالتين : إحداهما رمزية بلفظة المطر تستقطب رموز القصيدة

[1]- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 474.

[2] - محمد ، سعدون : 2010م . فضاءات الشّعريّة في ديوان بدر شاكر السّيّاب ، إشراف : د. صالح مفقودة ، وزارة التعليم العالي – جامعة محمد خضير – بسكرة ، كليّة الآداب – قسم الأدب العربي ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير . ص 111.

3– الشّابي ، أبو القاسم : 1995م . أغاني الحياة ، منشورات دار الكتب الشّرقيّة – تونس ، ص 179.

1– محبّك ، أحمد زياد : الاستدعاء الثّقافيّ في "أنشودة المطر "قراءة ثقافيّة حرّة : ص 27.

، والأخرى : صوتيّة ؛ فالأنشودة بحد ذاتها تكثيف لحركة تساقط قطرات المطر المنبعثة بالأشياء أو بالأرض وما ينطوي عليه النص من رموز .) [1]

يقول السياب :

(وأسمع الصّدى
يرنُّ في الخليج

مطر ...

مطر ...

مطر ...) 2

وتستدعي صورة النّهر الذي يحرك مجذاف الزّورق ماءه السّاكنة يقول السّيّاب :

(عيناك حين تبسمان تورق الكرومْ

وترقصُ الأضواء ... كالأقمارفي نهَرْ

يرجّه المجذافُ وهْناً ساعة السّحَر) 3

صورة مشابهة يتهادى فيها زورق على صفحة نهر وقد قدمها علي محمود طه (1902-1949م) في قصيدته أغنية الجندول ومنها قوله :

(آه لو كنت معي تختال عبره

بشراع تسبح الأنجم إثره

حيث يروي الموج في أرخم نبره

حلم ليل من ليالي كيلبتره

أين من عيني هاتيك المجالي ياعروس البحر يا حلم الخيال

رقص الجندول كالنجم الوضي فاشد ياملاح بالصوت الشجي)1

1- جبار ، سامي علي :2000م . عنوان قصيدة السّيّاب دراسة لغوية مقارنة ، مجلة أبحاث البصرة ، ع 23. ص 14.
2- السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 481.
3- المصدر نفسه : ص 474.

ونرى أنّ " السّيّاب " اعتمد حرف التشبيه وهو " ك " في قوله :

(بلا انتهاء – كالدّم المراق ، كالجياع ،

كالحبّ ، كالأطفال ، كالموتى – هو المطر !) 2

وهذا يعيد إلى ذاكرتنا قول " الشابي " في قصيدته " صلوات في هيكل الحبّ " :

(عذبةٌ أنتِ كالطّفولة كالأحـ ـلامِ كاللّحنِ كالصّباحِ الجديد)

كالسّماءِ الضّحوكِ كاللّيلةِ القمـ ـراء كالوردِ كابتسامِ الوليد)3

التّصوف :

إذا افترضنا أنّ الصوفيّة (ثورة على المفاهيم السّائدة ، ودعوة إلى تغيير الواقع المستهلك ، ورؤيا جديدة للكون والوجود ، وعبّرت عن ذلك بلغة جديدة وتعابير حيّة غير مألوفة ، وتراكيب مولّدة تعتمد على الرموز الموحية الدّالة ، والصّور المبهمة البعيدة المدى والمعاني العميقة الغور) 4 وإذا افترضنا (أنّ الشّعر الصّوفي يجمع بين الصّور المتناقضة ، والمواقف المتضادة بصياغة فنية رائعة ..وأنّ الصّوفيين يستندون في تعابيرهم ورؤياهم إلى القرآن الكريم ، وكان لهم خير معين ، واستقوا منه مفهوم التناقض ، وانبثاق النقيض من النقيض كما في قوله تعالى : " يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي " .. هذا التناقض ... يفرض بالضرورة صياغات جديدة ، ولغة جديدة) 5

نستطيع أنْ نقول : إنّ السّيّاب تأثر بالشّعر الصّوفيّ ولا أدلّ على ذلك قوله :

(وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيفْ

كالبحرِ سرّحَ اليدين فوقه المساء ،

دفء الشتاء و ارتعاشة الخريف ،

1– طه ، علي محمود :1972م . الديوان ، دار العودة – بيروت . ص 225.

2– السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 476.

3– الشّابي ، أبو القاسم : أغاني الحياة : ص 121.

4– جيدة ، عبد الحميد : الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر: ص 97– 98.

5– المرجع نفسه : ص 100– 101.

والموت ، والميلاد ، والظلام ، والضّياء) 1

نلاحظ أنّ " السّيّاب " جمع في أسطره السّابقة بين دوال متناقضة من مثل : " دفء " و" الشّتاء" فالأخير معروف عنه بالبرد ، ولكنّه أصبح عند الشاعر دافئاً ؟

ثم جمع بين " الموت " والميلاد " وبين " الظلام " والضياء " . وإذا وضعنا :

الموت / الميلاد

الظّلام / الضياء

فالموت يمثل الظلام المادي والمعنوي للشعب العراقي ، بينما الميلاد أو الحياة هو الضياء والنور والبهجة والسعادة له وهذ الدّوال المشكلة لقصيدة " أنشودة المطر " .

الحكاية الشّعبيّة :

وظّف (السّيّاب) في " أنشودة المطر " بعضاً من حكاية الجدّة ، إذ نراه يصوّر الصّياد حزيناً يجمع شباكه الفارغة من الرزق ، ويلعن مياه الخليج والقدر . يقول :

(كأن صياداً حزيناً يجمع الشّباك

ويلعن المياه والقدَر

وينثرُ الغناء حيث يأفل القمرْ .) 2

وهذه الصّورة تستدعي حكايات شعبية كثيرة من مثل حكاية صياد فقير يعيش في كوخ مع زوجه فيذهب إلى البحر فيلقي بشباكه التي تلتقط حورية بحر ، فتطلب منه أن يتركها ، وتعطيه كل يوم لؤلؤة جميلة ، وحكاية أخرى عن صيّاد فقير يصطاد سمكة كبيرة وعندما تقوم زوجه بتنظيفها ، فتعثر في داخلها على خاتم ذهبي . وغيرها من الحكايات التي تجعل من الصّيد الفقير غنيّاً عن طريق المصادفة والحظ .

خاتمة :

1- – السّيّاب ، بدر شاكر : ديوانه : ص 474- 475.

2- المصدر نفسه : ص 476.

وهكذا رأينا تنوّع الاستدعاءات الثقافية في قصيدة " أنشودة المطر " وغنى هذا الأخيرة بالثقافة المتنوعة من التّراث الأدبي العربي والأجنبي ، فبدت القصيدة وعاء صبّ (السّيّاب) فيه خلاصة ثقافته من دون إبهام على المتلقي الذي يعيد إنتاج هذه القصيدة وفق ثقافته ، ونزعم أنّ أي متلق يستطيع أنْ يتواصل مع هذه القصيدة ، وأنْ يصل إلى دلالة أو دلالات كثيرة ، فهي قصيدة مفتوحة على دلالات مختلفة بتعدد من يتناولها ، هذه الاستدعاءات الثقافية جعلت القصيدة في متناول يد المتلقي العادي والمثقف .

نتائج البحث :

– غنى نصّ السياب " أنشودة المطر وتنوعها من استدعاء أسطوري ، وقرآني ، وشعر عربي قديم ومعاصر ؛ وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على ثقافة الشاعر الموسوعية وحسن توظيفه إياه في هذا النّصّ الشعريّ

- ذكاء السياب وعمق توظيفه للاستدعاءت كلها ، وهذا يتطلب من الشاعر المعاصر الآن أن يكون توظيفه لثقافته بما يخدم نص وليس عرضا للتفافة ليس إلا .
- نرى أن السياب أحسن اختيار استعاء كلها بما خدم نصه وأغناه وجعله منفتحا على قراءات عديدة .
- كشفت هذه الدراسة عن تجربة السياب الغنية في قصيدته " أنشودة المطر " ومدى تفاعله مع التراث الإنساني الخالد والحي في ضمائر متلقيه .
- كانت تلك الاستدعاءات عوناً للسياب في التأثير في متلقيه ، ولا سيما الشعب العراقي للقيام بالثورة على مستغليه .
- يؤكد تفاعل المتلقي شعرية توظيف مع تلك الاستدعاءات أو عدم شعريتها . وفشل الشاعر في إيصال شفرة نصّه إلى المتلقي .
- كانت هذه الاستدعاءات مفاتيح الولوج إلى عالم القصيدة الشّعريّ ، وفكّ مغاليقها .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر :

– ابن أبي الصلت : أمية : 1974م . ديوان أمية بن أبي الصّلت ، تحـ : عبد الحفيظ السطلي ، مكتبة أطلس – دمشق .

– ابن المعتز . د. ت. طبقات الشّعراء . تح : الهواري ، د. نشر.

– ابن منظور : 1996م . لسان العرب ، تصح : أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي ، دار إحياء التّراث – بيروت ، ط: 1.

– أبو تمام : ديوان أبي تمّام الطائي ، تفسير : محيي الدّين الخيّاط ، المعارف العمومية – نومرو 413 .

–أبو العلاء المعريّ : 1957م . سقط الزّند ، دار بيروت ، دار صادر – بيروت .

– الأصفر ، عبد الرزاق ، وسهيل عثمان : 1982م . معجم الأساطير اليونانية والرومانية ،

– السّيّاب ، بدر شاكر : 1986م . ديوان بدر شاكر السّيّاب ، دار العودة – بيروت ،

– الشّابي ، أبو القاسم : 1995م . أغاني الحياة ، منشورات دار الكتب الشّرقيّة – تونس

– طه ، علي محمود :1972م . الديوان ، دار العودة – بيروت . ص 225.

– عبد النور ، جبور : 1979م . المعجم الأدبي ، دار العلم للملايين – بيروت ، ط: 1.

– القيس ، امرؤ : د. ت . الديوان ، رواية الأصمعي من نسخة الأعلم ، ج: 1، د. دار نشر

المراجع :

– ابن الأنباري : د.ت . شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ، دار المعارف – القاهرة.

– أنيس ، إبراهيم : 1952م . موسيقى الشّعر : مطبعة الأنجلو المصرية .

– التبريزي ، الخطيب : 1343. شرح القصائد العشر ، المطبعة السلفية – القاهرة

– جيدة ، عبد الحميد : 1980م .الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر ، مؤسسة نوفل – بيروت ، ط: 1

– الحسناوي ، محمد : الفاصلة في القرآن جار الأصيل – حلب ، ط: 1 .

– الرّازي ، فخر الدّين : د. ت. مفاتيح الغيب ، دار الكتب العلمية –بيروت .

– زايد ، علي عشري : د. ت. استدعاء الشّخصيات التّراثيّة في الشّعر العربيّ المعاصر ، الشّركة العامّة للدراسات و النشر– الجمهوريّة العربيّة المصريّة .

– زكي ، أحمد كمال : د. ت. الأساطير ، دار الكتاب العربي – القاهرة .

–عوض ، ريتا : 1968م . أسطورة الموت والانبعاث في الشّعر العربي الحديث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

– فروخ ، عمر: 1978م. هذا الشّعر الحديث ، دار لبنان للطباعة والنّشر – بيروت ، ط: 1.

– الفقس ، روعة : 2017–2018م . نصوص من الشعر العربي الحديث والمعاصر دراسات تحليلية : منشورات جامعة البعث – كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، ص 93.

– لؤلؤة ، عبد الواحد : 1982م . النفخ في الرّماد ، وزارة الثّقافة – بغداد .

– متّى ، فائق : 1966م. إليوت : دار المعارف – القاهرة

–المسيري ، عبد الوهاب ، ومحمد علي زيد . 1979م. مختارات من الشّعر الرومانتيكي الإنكليزي ،المؤسسة العربيّةللدراسات والنشر– بيروت .

المراجع المترجمة :

– ساندرز : د. ت. ملحمة جلجامش ، تر : محمد نوفل وغيره ، دار المعارف –مصر – القاهرة .

– ويليلك ،رينيه وأوستن وارين : 1981م . نظرية الأدب ، تر : محيي الدّين صبحي ، المؤسسة العربيّة للدراسات والنّشر – بيروت ، ط: 2.

الدوريات :

– بريسم ، طارق حبيب : 1990م . الرومانسيّة بين وردزورث وبدر شاكر السّيّاب ، جريدة الجامعة – بغداد ع : آذار .

– جبار ، سامي علي :2000م . عنوان قصيدة السّيّاب دراسة لغوية مقارنة ، مجلة أبحاث البصرة ، ع 23

–الحسناوي ، محمّد :1975م . الفاصلة والشعر الجديد: مجلة الثقافة العربية الليبية ،ع 3.

– محبّك ، أحمد زياد : 1998م . الاستدعاء الثّقافيّ في "أنشودة المطر "قراءة ثقافيّة حرّة ، مجلة باسل الأسد لعلوم اللغات وآدابها ، ع: 1.

الرّسائل الجامعيّة :

- محمد ، سعدون : 2010م . فضاءات الشّعريّة في ديوان بدر شاكر السّيّاب ، إشراف : د. صالح مفقودة ، وزارة التعليم العالي– جامعة محمد خضير – بسكرة ، كليّة الآداب – قسم الأدب العربي ، مذكرة لنيل شهادة ماجستير.

المواقع الإلكترونية :

- الزعم بأن المجاز في القرآن الكريم من قبيل الكذب : bayanelislam.net
- عيد ، محمد عريب : مقاربة بين قصيدتي " ما يزال المطر يهطل " لـ " إديث سيتويل " و" أنشودة المطر " " لبدر شاكر السّياب ، www. Thakafamag.com
- الفرق بين الريح والرياح في القرآن الشّعراوي يوضح معلومات لا تعرفها .elbalad News
- كتاب الأدب المقارن – جامعة المدينة www. Al – maktaba.org
- ما الحكمة من التكرار في القرآن islamweb. Net
- موسى المطر غيث بكر – سلم الخاسر – الديوان – موسوعة الشعر العربي . .www aldiwan.net

Listofsourcesandreferences

TheHolyQuran
Sources:
IbnAbiAl-
Salt:Illiteracy:1974A.D.TheOfficeofUmayyaibnAbial
-Salt,under:Abdal
-Hafeezal-Sattali,AtlasLibrary-Damascus.
.Ibnal-Mu'taz.Dr..T.TabaqatAl-Shuara-Under:Al-
Hawari,Dr.Spread-
IbnManzoor:1996.Lisanal-
Arab,valid:AminMuhammadAbdel-Wahhaband
.MuhammadAl-SadiqAl-
Obeidi,HouseofRevivalofHeritage-Beirut,ed:1
-AbuTamam:TheDivanofAbiTammam Al-
Tai,Interpretation:MuhyiddinAl-
.Khayyat,PublicKnowledge-Numro413
AbuAl-AlaaAl-Maari:1957AD.FellAl-
Zand,DarBeirut,DarSader-Beirut.
Al-Asfar,Abdul-
Razzaq,andSuhailOthman1982.ADictionaryofGreekandR
oman
Mythology,
Al-Sayyab,BadrShaker:1986AD.DiwanofBadrShakerAl-
Sayyab,DarAl-Awda-
Beirut
Shabbi,Abual-
Qasim:1995.SongsofLife,PublishingHouseofOrientalB
ooks-
Tunisia
Taha,AliMahmoud,1972.Al-Diwan,DarAl-Awda-
Beirut.Pp.225.
AbdelNour,Jabbour:1979.TheLiteraryDictionary,DarA
l-Alam Al-Malayn-Beirut,ed
1.:.
Al-Qais,man:Dr.T.Al-Diwan,Al-
Asma`i'snarrationfrom NaskhAl-Alam,C:1,Dr.
Publishinghouse

References:
IbnAl-Anbari:d.Explanationofthesevenlongpre-Islamicpoems,DarAlMaaref-Cairo.
Anees,Ibrahim:1952A.D.MusicofPoetry:TheAnglo-EgyptianPress.
Al-Tabrizi,Al-Khatib:1343.ExplanationoftheTenPoems,TheSalafistPress-Cairo-
Jaidah,AbdulHamid:1980AD,NewTrendsinContemporaryArabicPoetry,Nofal Foundation-Beirut,ed:1
-Al-Hasnawi,Muhammad:ThecommaintheQur'anistheneighboroftheoriginal-.Aleppo,i:1
Al-Razi,FakhrEl-Din:Dr.T.KeystotheUnseen,HouseofScientificBooks-Beirut.
Zayed,AliAshry:Dr.T.InvokingtheheritagefiguresincontemporaryArabpoetry,the StateCompanyforStudiesandPublishing-theEgyptianArabRepublic.
Zaki,AhmedKamal:Dr.T.Mythology,theArabBookHouse-Cairo.
Awad,Rita:1968.TheMythofDeathandResurrectioninModernArabPoetry,The ArabFoundationforStudiesandPublishing.
Farroukh,Omar:1978.Thismodernpoetry,LebanonHouseforPrintingand Publishing-Beirut,ed:1.
Hatching,splendor:2017-2018.Textsfrom ModernandContemporaryArabicPoetry AnalyticalStudies:Al-BaathUniversityPublications-CollegeofArtsandHumanities, pg.93.
Pearl,AbdulWahid:1982AD.Blowingintheashes,MinistryofCulture-Baghdad.
MatthewFaiq:1966A.D.Elliott:DarAlMa'aref-Cairo
Translatedreferences:
Sanders:Dr.T.TheEpicofGilgamesh,TR:MuhammadNofalandothers,DarAl Ma'arif-Egypt-Cairo.
Willilk,Renee&AustinWarren:1981LiteratureTheory,see:MohieddinSubhi,the

ArabFoundationforStudiesandPublishing-Beirut,ed:2.

Periodicals:

Prism,TariqHabib:1990.TheromancebetweenWordsworthandBadrShakerAl-Sayyab,Al-JamaaNewspaper-BaghdadP.:March.

Jabbar,SamiAli:2000AD.ThetitleofAl-Sayyab'spoemisacomparativelinguisticstudy,BasraResearchJournal,p.23

Al-Hasnawi,Muhammad:1975.TheCommaandtheNewPoetry:TheJournalofthe LibyanArabCulture,vol.3.

Lovingyou,AhmedZiyad:1998AD.Theculturalrecallin"SongoftheRain",afree culturalreading,BasselAl-AssadJournalofLinguisticsandLiterature,P.:1.

websites:

Thedifferencebetweenwindandwindinthepoetical Qur'anclarifiesinformationthatyoudonotknow. elbalad.News

Theclaim thatametaphorintheNobleQur'anisalie:bayanelislam.net

Whatisthewisdom ofrepetitionintheQur'anislamweb.Net-MusaAl-MatarGhaithBakr-blessingtheloser-Al-Diwan-EncyclopediaofArabic Poetry.www.aldiwan.net